SHIHAB JOURNAL OF HUMANITIES
Volume (2), Issue (3) (Sept, 2026)
ISSN: 3136-2958

مجلة الشهاب للعلوم الإنسانية
المجلد (2) العدد 3 سبتمبر 2026
ردمد: 3136-2958

الوظائف التواصلية عند هاليداي في لغة الخطاب الأدبي الموجه للطفل الليبي المعاصر/ مقاربة لسانية

أحمد المهدي المنصوري
قسم اللغة العربية / جامعة طرابلس

Halliday's Communicative Functions in the Language of Literary Discourse Addressed to the Contemporary Libyan Child: A Linguistic Approach

Dr. Ahmed Al-Mahdi Al-Mansouri
Department of Arabic Language / University of Tripoli
a.abdulajalil@uot.edu.ly

تاريخ الاستلام: 2026/9/12 تاريخ المراجعة 2026 /9/15 تاريخ القبول:2026/10/11- تاريخ النشر: 2026 /10/29

ملخص :

أدب الطفل خطاب تواصلي متعدد الوظائف ،وتعد اللغة الأداة الأولى في هذه العملية التواصلية ،حيث اكتسبت أهميتها التواصلية وقيمتها الخطابية من وظائفها التي تؤديها ، ولذلك اهتم علماء اللغة بدراسة ورصد هذه الوظائف التي تشكلت في اتجاهين هما: الشكلي أو البنيوي الذي اهتم بالأبنية اللغوية الداخلية، والاتجاه التواصلي والاستعمالي أو الوظيفي الذي اهتم بالخارج النصي أو اللغة في الاستعمال والبحث عن وظائفها الاجتماعية.

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز أهمية أدب الطفل في تنمية قدراته اللغوية، والأخلاقية، والفكرية،والوقوف على أهم الوظائف التواصلية لهاليداي في أدب الطفل الليبي المعاصر من خلال دراسة نماذج مختارة من النصوص الأدبية المقررة على الناشئين بالمرحلة الإبتدائية؛ للوقوف على مدى تحقيقها لوظائفها التواصلية، وأهدافها التعليمية والتربوية التي تخاطب عقل الطفل ووجدانه، ويعد كتاب اللغة العربية للصف الرابع الإبتدائي المقررمن وزارة التربية والتعليم في ليبيا وما تتضمنه من نصوص أدبية المدونة التي سيعتمد عليها هذا البحث، للكشف عن الوظائف المهيمنة والمغيبة وأثرها في تصور الطفل كمتلق، حيث تعد هذه المرحلة حجر الأساس في تكوين شخصية الطفل وتنمية معجمه اللغوي وتشكيل وعيه وإدراكه باللغة.

الكلمات المفتاحية: **الوظائف ـ التواصلية ـ هاليداي ـ لغة الخطاب ـ الأدبي ـ الطفل ـ الليبي – السانية.**

****Abstract:****

Children's literature is a multi-functional communicative discourse, in which language serves as the primary tool. It has acquired its communicative significance and rhetorical value from the functions it performs. Consequently, linguists have focused on studying and monitoring these functions, which have taken two directions: the formal or structural approach, which concentrates on internal linguistic structures, and the communicative-usage or functional approach, which focuses on the text-external context or language in use, exploring its social functions.

This study aims to highlight the importance of children's literature in developing children's linguistic, moral, and intellectual abilities, and to examine Halliday's primary communicative functions within contemporary Libyan children's literature. This is achieved through the analysis of selected literary texts prescribed for elementary school learners, assessing the extent to which these texts fulfill their communicative functions and their educational and pedagogical objectives that address the child's intellect and emotions. The Arabic language textbook for the fourth grade of primary education, approved by the Libyan Ministry of

Education, along with its included literary texts, serves as the corpus for this research. The study aims to uncover the dominant and absent functions and their impact on the child's perception as a recipient, given that this developmental stage forms the cornerstone of personality development, lexical expansion, and the shaping of linguistic awareness and comprehension.

أهمية موضوع البحث:

تكمن أهمية موضوع البحث في محاولة مد جسور البحث اللغوي بين القديم والحديث، ومحاولة سد الفجوة بين النظرية اللغوية الحديثة وتطبيقاتها في النص العربي، والحاجة إلى معايير علمية لتقييم نصوص أدب الطفل الليبي، فالبحث بوظائف هاليداي يمكن من خلاله توظيف معيار موضوعي نحكم من خلاله على قدرة أدب الطفل الفعلية في تنمية لغته وتطوير مواهبه، فما يحتاجه أدب الطفل هو دراسة موضوعية شاملة لا تهمل المعنى ولا العلاقة ولا شكل النص،ونظرية هاليداي تعطي إطارا متكاملا لتحليل اللغة كسلوك اجتماعي، الأمر الذي يبرز أهمية هذه الدراسة في مواكبة التطورات في دراسة وتحليل لغة الخطاب الموجه للطفل وتعليم اللغة عند الطفل.

الهدف من اختيار الموضوع ودوافعه:

يمكن أن نوجز أهداف الدراسة في النقاط الآتية:

1- أهمية أدب الطفل الذي يعد اللبنة الأساسية في بناء شخصيته اللغوية والفكرية والسلوكية.
2- محاولة تقديم دراسة تطبيقية لنظرية هاليداي على أدب الطفل الموجه للطفل الليبي.
3- شمولية وظائف اللغة عند هاليداي تمنح الباحث إطارا متكاملا للدراسة والتحليل، و تخدم أهدافه البحثية وتسد فجوة النقص في الدراسات اللغوية حول الأدب الموجه للطفل الليبي من منظور الدرس اللساني الحديث.

منهج الدراسة:

اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي الذي يعتمد التحليل في خطواته، لملاءمته طبيعة البحث و أهدافه .

مهاد:

مدخل إلى مفهوم أدب الطفل:

إن الحديث عن أدب الطفل هو الحديث عن الطفل ذاته، وموضوع الحديث عن الطفل والأدب الموجه للطفل هو أمر في غاية الحساسية والأهمية أيضا، فالطفولة هي عالم مفتوح، وخيال جامح، واستفسارات وأسئلة لا تنتهي، وفي المقابل أيضا نحن أمام عقل يصدق كل شيء، ويتأثر بأبسط كلمة أو صورة، فالطفولة مرحلة لا يمكن تعويضها، ولذلك حظي الطفل بعناية واهتمام منذ القدم ، ورعايته سلوك متأصل في الإنسان بالفطرة، وتاريخنا العربي يسجل لنا إرسال الأطفال إلى البادية ليشبوا أقوياء بدنيا، ويعملون على تنمية قدراتهم الذهنية والسلوكية، ويتربوا على الفضيلة ومكارم الأخلاق والفروسية والشجاعة، منطلقين مما يقدم لهم من أدب سواء أكان شعرا أو نثرا.

إن أدب الطفل هو لون من ألوان الأدب، وجزء منه، ويختص بمخاطبة فئة عمرية معينة من المجتمع وهي فئة الأطفال، ويعد من الأنواع الحديثة نسبيا من حيث استقلاليته وتفرده في نوع خاص أطلق عليه ب (أدب الطفل)، وقد اختلف كثير من المتخصصين في تعريفه حيث رأى رشدي طعيمه: أن أدب الأطفال يقصد به الأعمال الفنية التي تنتقل إلى الأطفال عن طريق وسائل الاتصال المختلفة، والتي تشمل أفكارا وأخيلة، وأحاسيس، ومشاعر مختلفة، كما رأى في مفهوم أدب الطفل بأنه: نوع من أنواع الأدب، سواء العام أو الخاص، ورأى أن معناه العام يعني الإنتاج العقلي المدون في كتب موجهة لهؤلاء الأطفال في شتى فروع المعرفة، وأدب الطفل بمعناه الخاص، فهو يعني: (الكلام الجيد الذي يحدث في قلوب هؤلاء الأطفال متعة فنية، سواء أكان شعرا أم نثرا، وسواء أكان شفويا بالكلام، أم تحريريا بالكتابة،[1]، ويرى موفق رياض أن

[1] - رشدي طعيمه، أدب الأطفال في المرحلة الإبتدائية، ط2، القاهرة، دار الفكر، 2000، ص: 278.

أدب الطفل لا يختلف في مفهومه عن الأدب عموما، إلا في كونه موجها إلى فئة خاصة هي الأطفال)[1]،ويتضح رغم اختلاف وجهات النظر في تحديد مفهوم أدب الطفل أنه النتاج الأدبي نثريا أو شعريا الذي يبدعه الكبار ويقدم للأطفال ويحمل مضامين دينية، وأخلاقية، وتربوية، واجتماعية، لغرض امتاع الأطفال وتربيتهم وتنمية قدراتهم الفكرية.

المبحث الأول/ مفهوم الخطاب في اللسانيات:

تعد آراء فرديناند دي سوسير صاحب كتاب(محاضرات في اللسانيات العامة)، المرجع الذي تعود إليه نشأة مفهوم الخطاب ، حيث ميّز بدقة بين اللغة والكلام، فاللغة عند دي دسوسير هي جزء جوهري من اللسان، وفي الوقت ذاته نتاج اجتماعي لملكة اللسان، ويرى سوسير أن الكلام هو نتاج فردي ينتج عن وعي وإرادة ويتصف بالاختيار الحر، وعالج مكونات العملية الكلامية ، لكنه اهتم باللغة دون الكلام، لأنه في رأيه فعل فردي، وهذه المسألة في طرح الفعل الفردي وعدم الاهتمام به،هو الموضوع الذي ظهر فيه نشاط المتأخرين، بدءا من شارل بالي،فجاكبسون، فتشومسكي،إلى رولان بارث وميخائيل وغيرهم،وأصبح ما كان يعده سوسير مسألة هامشية صار عند المتأخرين موضوعا مهما واستبدلوا الكلام، (نصا، أو إنجازا،أو رسالة أو خطابا،أو أسلوبا)، ونتج عنه تقليص أهمية اللغة لتحل محلها عبقرية الكلام الذي هو سلوك حي تنتقل من مخاطب إلى مخاطب فتصير خطابا .[2]

ومن هذا المنطلق جاءت رؤية هاليداي ورقية حسن لمفهوم النص بأنه: عملية تفاعل في واقعه الاجتماعي ، يتم بواسطتها تبادل المعاني، ومعنى ذلك أنه حوار بين المتواصلين باللغة حيث تشكل كل متتالية من الجمل نصا،شريطة أن تكون بين هذه الجمل علاقات. [3]

ومنه ندرك أن مقاربة النصوص تجاوزت المستوى اللغوي الاستبدالي إلى ما هو غير لغوي،وباتت تهتم بسياقاتها الخارجية التي أنتجتها، وذلك عن طريق الكشف عن العلاقات بين الكلمات التواصلية في الخطاب الذي عرفه هاريس بأنه: "متتالية من الجمل تتكون من مجموعة من العناصر بواسطة المنهجية التوزيعية، وهو بذلك يساوي بين المنطوق والمكتوب[4] .

ومن هذا القول نفهم أن الخطاب ضرورة تواصلية منتظمة تكشف بنية النص عبر الكلمات التواصلية وتفاعلها مع البيئة الاجتماعية والمجتمع، وهي مسألة اهتم بها النحاة القدامى في الدرس اللغوي منذ نشأته الأولى،واعتمدوا في تقعيداتهم وتوجيهاتهم النحوية على جميع عناصر العملية التواصلية وأولوا اهتماما كبيرا بطرفيها(المخاطِب والمخاطَب)، وشكل حضورهما ضرورة في التعامل مع مسائلهم النحوية،فقد ورد اسم المفعول (المخاطبَ)عند النحاة ، للدلالة على طرف الخطاب الآخر، الذي يوجه المرسل كلامه إليه، وذلك عند حديثهم عن المضمرات، إذ يقول ابن يعيش في شرحه:(والمضمرات لا لبس فيها، فاستغنت عن الصفات،لأن الأحوال المقترنة بها قد تغني عن الصفات، والأحوال المقترنة بها: حضور المتكلم والمخاطب والمشاهدة لهما، وتقدم ذكر الغائب الذي يصير به بمنزلة الحاضر المشاهد في الحكم، فأعرف المضمرات المتكلم، لأنه لا يوهمك غيره، ثم المخاطب تلو المتكلم في الحضور والمشاهدة[5] ، وهذا التصنيف يوحي بأن مفهوم الخطاب ينحصر في ناحيته الشكلية، بدلالة الاهتمام بتصنيف الأداة اللغوية المستعملة التي تشير إلى طرفه الآخر[6]، وهذا الاهتمام نجده أيضا عند علماء البلاغة العربية الذين اعتمدوا في تفسير بعض الظواهر اللغوية والآليات التي يعتمد عليها الخطيب أو المتكلم البليغ للتأثير على المتلقي، وإذا تتبعنا مفهوم الخطاب في المعاجم العربية القديمة سنجدها تعرف الخطاب كفهموم تواصلي بين متكلم ومخاطِب، ونجدهم قد تعاملوا معه كعملية تواصلية تفاعلية ولم يتعاملوا معه كبنية لغوية مجردة، فقد ورد في لسان العرب عند ابن منظور(ت711) في مادة(خطب)، يقال: خطب فلان

---

[1] - موفق رياض مقدادي، البنى الحكائية في أدب الأطفال،المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2012،ص:17.

[2]- رابح بوحوش، اللسانيات وتحليل النصوص، عالم الكتب، عمان ، الأردن،ط2007،1، ص:84.

[3] - محمد خطابي ،لسانيات النص مدخل لانسجام الخطاب،المركز الثقافي العربي،بيروت،1991م،ص:13.

[4] - أحمد مداس،نحو منهج تحليل الخطاب الشعري،كلية الآداب والعلوم الاجتماعية،جامعة محمد خيضر،بسكرة،الجزائر،ط1، 2007م، ص:10.

[5] - موفق الدين بن يعيش، شرح المفصل، الجزء الثالث، دون تاريخ،ص: 84.

[6] - عبدالهادي بن ظافر الشهري،إستراتيجيات الخطاب/مقاربة لغوية تداولية، دار الكتب الوطنية بنغازي، ليبيا، ط1، 2004،ص:35.

إلى فلان فخطبه وأخطبه أي أجابه،والخطاب والمخاطبة: مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا وهما يتخاطبان [1] .

وأما الزمخشري فيقول:(خطب، خطابة أحسن الخطاب، وهو المواجهة بالكلام، وخطب الخطيب خطبة حسنة،وخطب الخطيب خطبة جميلة)[2].

ومن خلال التمعن في مفهوم الخطاب في المعاجم العربية نجد أن المعاجم العربية قد أسست مفهوم الخطاب على ثلاثة أركان تواصلية هي المتكلم، والمتلقي والقصد الإفهامي)، وهوما يتوافق أو يتطابق مع مفهوم الخطاب في اللسانيات الحديثة عند الغربيين منهم بينيفيست الذي عرف الخطاب بأنه :عبارة عن اللغة في حالة فعل أو بوصفه (اللغة بين شركاء التواصل) [3]، وهو ما يتوافق مع ما ورد في تحديد مفهوم الخطاب في الثقافة العربية في مصادرها المتنوعة منها القرآن الكريم، حيث ورد في الذكر الحكيم لفظ الخطاب بصيغة الفعل في قوله تعالى:(وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما) سورة الفرقان، الآية (63)، كما ورد بصيغة المصدر في قوله تعالى : (رب السموات والأرض وما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا) سورة النبأ، الآية:37، وفي قوله تعالى عن داود عليه السلام : (وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب) سورة ص، الآية:20، وهذا ما جعل بعض المحدثين من علماء العرب يقولون بأسبقية التراث العربي للسانيات الغربية الحديثة في ربط مفهوم الخطاب بالتواصل.

- نظرية الوظائف التواصلية عند هاليداي:

اللغة في حقيقتها هي أداة للتواصل الاجتماعي، ونظاما اجتماعيا ودلاليا يؤدي وظائف شغلت الإنسان منذ آلاف السنين، وحاول الكشف عن سر نطقها وكنه استعماله لها.

لقد شهد النصف الثاني من القرن العشرين تطورا ملحوظا في دراسة اللغة، حيث توجهت أنظار الباحثين والدارسين إلى دراسة وتفسير اللغة بوصفها أداة للتواصل الاجتماعي وبناء المعنى ،ولم تقتصر على دراسة الجوانب الشكلية التي تعتمد على وصف البنية النحوية في تفسير الظواهر اللغوية ، بل تجاوزها إلى دراسة اللغة في إطار عام هو إطار التواصل الذي يربط بين البنية والمعنى، والسياق والوظيفة، وهو جانب قد يكون الاتجاه الشكلي في دراسة اللغة لم يهتم به اهتماما كبيرا كما اهتم به الاتجاه التواصلي أو الوظيفي الذي عني بدراسة اللغة في بعدها الاجتماعي واهتم بمقولة السياق آخذا بعين الاعتبار وظيفة اللغة من خلال عملية التواصل،ويمثل هذا الاتجاه العالم اللساني فيرث الرائد الثاني لمدرسة لندن اللسانية ويعود له الفضل في أنه أعطى الجانب الاجتماعي أهمية كبيرة في دراسة اللغة، وتلميذه هاليداي الذي طور اللسانيات الفيرثية بنظرية اللسانيات النظامية التي تتضمن ثلاث جوانب أساسية هي:

1- الشكل: أي تنظيم أجزاء اللغة تنظيما له معنى، ويشمل قواعد النحو والمفردات.
2- المادة: ويقصد بها الجانب الصوتي والكتابة.
3- السياق: ويقصد به العلاقات بين الشكل والمواقف. [4]،وبهذا تعد نظرية هاليداي مصدرا لدراسة اللغة في إطار اجتماعي ، و إطار وظيفي لاشكلي،وهو ما نحاول في هذه الدراسة أن نبحث في آلية تطبيق هذه النظرية على الأدب الموجه للطفل الليبي المعاصر ووظائفه التواصلية.

- مستوى التحليل الشكلي والوظيفي في دراسة اللغة :

لقد تناول الدارسوان اللغة في اتجاهين مهمين : اتجاه برى أن اللغة بنية شكلية، واتجاه يراها حقيقة اجتماعية وأداة للتواصل لتحقيق وظيفة وشكلها تابع لوظيفتها.

1- الاتجاه الشكلي:

وهو الاتجاه الذي يدرس اللغة في إطارها الشكلي أو البنيوي، وأن اللغة نظام وفق ما أسسه دي سوسير وتطور مع بلومفليد وتشومسكي، وبالنظر إلى هذا الاتجاه في الفكر اللغوي العربي ، نجد أن العرب استعملوا هذا الاتجاه في تقعيد النحو العربي، خصوصا في مرحلة التأسيس، فكانت أحكامهم معيارية تتجسد فيها الصرامة المنطقية ، وذلك مثل اعتماد النحو العربي على التقدير وتصنيف التراكيب إلى الواجب، والجائز وغير الجائز، ونحو ذلك من الأحكام المعيارية الصارمة في التحليل النحوي والصرفي، ويتمثل في الفكر اللغوي الغربي في الدراسات البنيوية

[1] - ابن منظور أبو الفضل جمال الدين بن مكرم، لسان العرب، (مادة خطب)، دار صادر، بيروت، ط1997،1،ص:275.
[2] - الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق مزيد نعيم،وشوقي المجري، (مادة خطب)،مكتة ناشرون، ط1998،2، ص:253.
[3]- عبدالواسع الحميري، ما الخطاب وكيف نحلله،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت ، لبنان،ط2009،1، ص:28.
[4] - كريم حسام الدين زكي، أصول تراثية في اللسانيات الحديثة،ط2001،3،ص:45.

في مستويات اللغة المتعارف عليها، مثل: المستوى الصوتي، والمستوى التركيبي، والمستوى الدلالي، ويوسم هذا الاتجاه باللسانيات الصارمة أيضا.

2- الاتجاه الوظيفي(التواصلي):

الوظيفة هي اتجاه في اللسانيات الحديثة، يركز على الجانب الوظيفي للغة،وفي هذا الاتجاه لم يقتصر علماء اللغة بالبحث في الجوانب الشكلية بمعزل عن محيطها الاجتماعي ووظائفها التواصلية،حيث تشترك كل النظريات اللغوية الوظيفية في التركيز على جانب الدلالة، والاستخدام الفعلي للغة،والعوامل التي تؤثر في استخدامها، والسياق ودوره الدلالي، ويرى انصار هذا الاتجاه أن اللغة وجدت لتؤدي وظائف، ومن مؤسسي هذا الاتجاه الانتروبولوجي مالينوفسكي(ت 1942) الذي كان يشغل أستاذ علم الأنتروبولوجيا في مدرسة لندن للعلوم الاقتصادية،، وكان له فضل السبق في دراسة المعنى، وتأكيده على دور السياق في تحديد معاني الكلمات،وجاء فيرث بعده ليؤكد أهمية الجانب الاجتماعي في دراسة اللغة، حيث تأثر فيرث بآراء مالينوفسكي حول اللغة، حيث نجد فيرث وتلاميذه يؤكدون دور السياق في تحديد المعنى، ويعد هاليداي صاحب نموذج النحو الوظيفي من أنصار هذا الاتجاه الوظيفي ،ومن ضمن آراء أنصار هذا الاتجاه، أن الاستعمال الفعلي للكلمة في إطارمجتمع بعينه يحكمه أمران:

الأول: السياق اللغوي حيث الكلمة يتحدد معناها بعلاقاتها مع الكلمات الأخرى في السلسلة الكلامية.

الثاني: سياق الموقف الذي أطلق عليه علماء العربية القدامى بالمقام.

وهو ما يؤكد عناية علماء اللغة العربية في مراحل متقدمة من الدرس اللغوي العربي بدراسة اللغة في إطارها الوظيفي والتواصلي،ويظهر جليا من خلال إدماج الاتجاه التواصلي في الدرس اللغوي عند العرب وعدَ استعمال اللغة هو مصدر التقعيد، واشتراط النحاة حصول الفائدة ليستحق اللفظ تعريفه بأنه كلام، وعدَ السماع عن العرب أحد مصادر التقعيد عند العرب، وقد تمثل هذا الاتجاه في الدراسات اللسانية الحديثة كالتداولية، والنحو الوظيفي، واللسانيات الاجتماعية، وتحليل الخطاب،ورغم تعدد هذه الدراسات ، وتركيز كل منها على جانب معين، فإنه يمكن وضعها كلها في إطار عام هو إطار التواصل[1].

ومن خلال هذا العرض الموجز نلحظ أن اللغة ذات بعدين : أحدهما داخلي، وآخر خارجي، ودراسة اللغة تظل دراسة تكاملية إذ لا يستطيع الدارس الاستغناء بأحد الاتجاهين عن الآخر،وقد عرف العرب قديما هذين الاتجاهين كما هو الحال عند الغربيين ومن نحا نحوهم من المحدثين، حيث اهتم الاتجاه الأول بكيفية بناء اللغة، في حين اهتم الاتجاه الآخر بالجوانب الوظيفية والتواصلية خارج حدود الأبنية اللغوية.

الوظائف التواصلية عند هاليداي:

يعد مايكل هاليداي من أبرز رواد المدرسة الوظيفية في الفكر اللساني، ومن أنبه تلاميذ فيرث، وأشدهم استيعابا لآرائه وأفكاره، اتجه هاليداي لدراسة اللغة بوصفها نظاما بين عدد من أنظمة المعنى التي تكون مجتمعة أنطمة الثقافة البشرية، وكان من ضمن القضايا الأساسية التي اهتم بها الوظائف الاجتماعية للغة، وكيف تقوم اللغة بها،وكان يرى أننا إذا امتحنا المعاني الكامنة في اللغة وجدناها تتضمن عددا ضخما من الامكانيات يمكن تجميعها في شبكات من الاختبارات أقل عددا، وهذه الشبكات تنسجم مع الوظائف الأساسية للغة [2].

لقد نظر هاليداي إلى الوظيفة لا بوصفها مرادفا للاستعمال كما رأى مالينوفسكي،وبيولر، وبريون، وموريس، بل بوصفها خاصية جوهرية للغة نفسها، وشيئا أساسيا في تطور نظامها الدلالي،وتتمثل وظائف اللغة عنده في الوظائف الأساسية الآتية:

1- الوظيفة الفكرية: وتتمثل في التعبير عن المحتوى، أي خبرة المتكلم بعالم الواقع.
2- الوظيفة التبادلية:وهي الوظيفة التي تؤسس العلاقات الاجتماعية وتحافظ عليها.

[1] - المرجع نفسه، ص: 46.
[2] - محمود أحمد النحلة، علم اللغة النظامي/مدخل إلى النظرية النظامية عند هاليداي،مصر، 2001، ص: 52

3- الوظيفة النصية: وهي التي تجعل المتكلم قادرا على بناء النصوص، أو الربط بين أجزاء الخطاب الواحد بما تقدمه له من وسائل الربط وخصائص السياق الذي تستخدم اللغة فيه [1]، وقد أسس نظريته في اللسانيات الوظيفية النظامية على أن بنية الجملة نفسها تتشكل وفقا لحاجات الإنسان التواصلية، وأسس رؤيته في دراسة اللغة سواء منطوقة أكانت أم مكتوبة على ثلاثة مستويات هي: المادة، والشكل، والموقف.

هذا وتنوعت الوظائف الأساسية عند هاليداي إلى وظائف أخرى فرعية منها:

أ- الوظيفة النفعية: وهي استعمال اللغة للحصول على المتطلبات الأساسية في الحياة كالأكل والشرب ونحوهما.

ب- الوظيفة التنظيمية: وفيها تستعمل اللغة للأوامر والتوجيهات للآخرين.

ت- الوظيفة التفاعلية: وهي استخدام اللغة في التفاعل بين البشر لنقل المشاعر والأحاسيس.

ث- الوظيفة الشخصية: وهي استعمال للغة للتعبير عن مكونات الفرد الذاتية.

ج- الوظيفة الاستكشافية: وهي استعمال اللغة للسؤال وطرح الاسئلة الاستكشافية.

ح- الوظيفة التخيلية: وهي استعمال اللغة للتعبير عن تخيلات الشخص الإبداعية.

خ- الوظيفة البيانية: وهي استخدام اللغة لنقل بعض التمثلات للآخرين.

د- وظيفة التلاعب باللغة: وهي محاولة استغلال إمكانيات اللغة في الاستخدام، سوءا وافقت المعنى أو لم توافقه.

ذ- الوظيفة الشعائرية: وهي استخدام اللغة للتعبير عن سلوكيات الجماعة.

وما نشير إليه في هذه الدراسة أن وظائف اللغة متعددة ولا يمكن حصرها في وظائف معينة متفق عليها في العدد وفي المصطلحات،نتيجة اختلاف الحقول المعرفية وتعدد مرجعياتها ومصادرها ، فنجد وظائف اللغة تتنوع بتنوع مجالات المعرفة الإنسانية ، فنجد وظيفة للغة قانونية، وأخرى سياسية، وأخرى نفسية ، وأخرى إعلامية، وأخرى اقتصادية، وقد تختلف هذه الوظائف وتسمياتها في الحقل المعرفي ذاته نتيجة اختلاف العلماء في المصطلح وعدم توافقهم على استخدام مصطلح معين، فمثلا الوظيفة الشعرية عند رومان جاكبسون سماها ريفاتيربالوظيفة الأسلوبية [2]،وبهذا يتجلى الفرق باختلاف وجهة نظر الدارس ومنهجه الدراسي، وإذا كانت أغلب التفسيرات لوظائف اللغة ترى أن مفهوم الوظيفة يعدا مرادفا للغة في الاستعمال، والذي يميز هاليداي في تناوله وتفسيره للوظيفة أنه يخطو بها خطوة أبعد، فلا يفسرالتنوع الوظيفي بوصفه مجرد تنوع في الاستعمال، وإنما بوصفه أصلا قارا في اللغة،وبوصفه الأساس نفسه الذي يقوم عليه تنظيم اللغة، خاصة تنظيم نظامها الدلالي.

- التوظيف التطبيقي للوظائف التواصلية عند هاليداي في نماذج من الأدب الموجه للطفل الليبي المعاصر:

لقد حضيت اللسانيات الوظيفية باهتمام كبيرفي مجال تعليم اللغات وتحليل الخطاب التعليمي، وهو موضوع هذه الدراسة التي نحاول من خلالها فهم كيفية بناء خطاب الأدب الموجه للطفل الليبي وتحليل لغة الكتب المدرسية المتضمنه لهذا الخطاب ،انطلاقا من الوظائف التواصلية للغة عند مايكل هاليداي، لما تقدمه من أدوات تحليلية فعّالة يمكن الاستفادة منها وتوظيفها في دراسة الخطاب الموجه للطفل الليبي وإمكانية توظيفها العلمي، بما يسهم في سد الخلل في بعض النصوص الأدبية الموجهة للطفل، والاستفادة من النظريات اللسانية الوظيفية الحديثة ويفتح المجال لدراسات تطبيقية أوسع، من خلال تفسير كيفية بناء المعنى، وربط النص بسياقه الاستعمالي، بما يسهم أيضا في تنمية الكفاية اللغوية والتواصلية عند المتعلمين ويعزز قدراتهم وكفايتهم اللغوية، وبيان دور وأثر الوظيفة التواصلية للغة، وهو ما تناولته مقولات وتفسيرات العلماء عند حديثهم عن الوظيفة الاجتماعية للغة ،وعند دراستهم للسياق وبيان أثر السياق في بنية النص ودوره في تنوع الدلالة[3]، وهو ما يؤكده أيضا رأي فيرث بوصف اللغة ظاهرة اجتماعية، وأن الكلمات لا تقل أهمية من الناحية العملية عن أنشطة الإنسان الأخرى التي نلاحظها في المقام، وكما يرى فيرث أن الكلمة لا معنى لها إذا أخذت منعزلة عن المقام أو السياق[4]، وهذا ما أكده أحمد مختار عمر حين رأى: أن السياق الثقافي هو تحديد المحيط الثقافي أو الاجتماعي الذي تشكل فيه النص[5] ،وهو ما يظهر علاقة اللغة بالواقع الذي تمثله، ويربط وظيفتها بالتواصل.

---

[1] - المرجع نفسه، ص: 53.

[2]- إدريس قصوري،أسلوبية الرواية، مقاربة أسلوبية لرواية زقاق المذاق لنجيب محفوظ، عالم الكتب الحديث،إربد، الأردن،2008،ص:41.

(2)- إبراهيم عبدالتواب حمزة،اللسانيات الوظيفية النظامية،الوافد الغربي والنحو العربي،ص: 76.

[3] - محمد العبد،المقاربة القرآنية، دراسة في بنية الدلالة، مكتبة الآداب، القاهرة،ط2، 2006م،ص:31.

[4]- أستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة العربية، ترجمة كمال بشر،مكتبة الشباب، مصر،ص:62.

[5]- أحمد مختار عمر، علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط1998،5م،ص:71.

وفي هذا الجانب من البحث وبعد محاولتنا في المباحث السابقة التأطير النظري لمفهوم أدب الطفل والوظائف اللغوية عند هاليداي بوصفها إطارا لسانيا اجتماعيا يرى أن اللغة ظاهرة اجتماعية وسلوكية بين الأفراد، وأداة للتواصل فيما بينهم، وليس مجرد بنية شكلية مجردة، ننتقل في دراستنا من التنظير إلى التطبيق الذي يعد الامتحان الحقيقي لنجاح أي نظرية أو أي عمل، وبما أن وجهة نظر هاليداي قد أكدت أن الطفل يكتسب اللغة من خلال وظائفها، ومن هذا التفصيل في القول ننتقل إلى الجانب التطبيقي داخل النص الأدبي الموجه للطفل من خلال دراسة وتحليل نماذج مختارة من الأدب الموجه للطفل من واقع النصوص في كتاب اللغة العربية للصف الرابع بالمرحلة الابتدائية المعتمد بوزارة التربية والتعليم بليبيا، من خلال تتبع الشواهد اللغوية الدالة على كل وظيفة، وتصنيفها، ورصد تكرارها، وسياقها، وصولا إلى تفسير دلالتها التربوية أو الاجتماعية أو النفسية أو العقائدية، ومعرفة مدى ملاءمتها لسن الطفل في هذه المرحلة من دراسته، ومعرفة أهم الآليات اللغوية التي اعتمدها كاتب النص، واعتمدت عليها اللجنة المشرفة على إعداد المناهج، للتواصل مع عقل الطفل ووجدانه، وهو الهدف السامي من هذه الدراسة التي تطمح إلى تفكيك المدونة المختارة إلى وحداتها التواصلية، وإخضاع كل واحدة منها لمعيار هاليداي، وبيان كيف تضافرت هذه الوظائف لتحقيق الأهداف التعليمية والتربوية في الأدب الموجه للطفل، وسنعتمد في تحليلنا على مستويين متكاملين:

المستوى الأول – المستوى الوصفي:

ويتمثل في رصد البنية الشكلية للنص المدروس، ورصد الشواهد وتصنيفها تحت كل وظيفة.

المستوى الثاني- المستوى الوظيفي والتفسيري:

وفي هذا المستوى سنحاول البحث عن الوظيفة المهيمنة في المدونة المدروسة، وما السبب؟ وكيف حققت كل وظيفة أهدافها التعليمية والتربوية؟ وهل هناك توازن وظيفي يراعي المرحلة العمرية للطفل، واعتمدت الدراسة على الوظائف الكبرى عند هاليداي وهي: الوظيفة الفكرية، والوظيفة التفاعلية، والوظيفة النصية فقط، لأن عينة الدراسة(كتاب اللغة العربية/ الصف الرابع) موجهة لطفل متعلم تجاوز مرحلة الاكتساب المبكر للغة.

أولا- المدونة الأولى: (السراج المنير).

نبـــي أتـــانـا بـــعد يـــأس وفتـــرة ..... من الرسل والأوثان في الأرض تعبد.

فأمسى سراجا مستنيرا وهاديـا ..... يـلـوح كـما لاح الصـقـيـل المـهـنـد

وضم الإله اسم النبي إلى اسمـه ..... إذا قـال فـي الخمس المؤذن أشهـد

وشـق لـه مـن اسمـه ليـجـلـه ..... فذو العـرش مـحـمـود وهـذا محمد

وأنـذرنـا نـارا، وبـشـر جنـة ..... وعـلـمـنـا الإسـلام ، فـالله نـحـمـد

وأنـت إلـه الخلق ربي وخالقي ..... بـذلـك مـا عـمـرتفـي النـاس أشـهد.

التعريف بالمدونة :

المدونة تحمل عنوان السراج المنير وهو وصفُ وصفَ به الله نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم ،حيث قال تعالى:(يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ومنيرا* وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا)، سورة الأحزاب-الآيتان 45-46.

وتحمل المدونة أبياتا شعرية للشاعر حسان بن تابث رضي الله عنه، الأنصاري المعروف بشاعر الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو من قبيلة الخزرج، واشتهرت قصائده بالمديح النبوي، وهي مدونة تعليمية من ضمن القصائد المختارة في كتاب اللغة العربية للصف الرابع الإبتدائي المقررة والمعتمدة من وزارة التربية والتعليم بليبيا،يتضمن الكتاب هذه الأبيات للحفظ، مع شرح مبسط، بأسلوب تربوي تعليمي تم التركيز فيه على نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الذي جاء بعد مدة طويلة

انقطع فيها الوحي الإلهي ، وتعبد الناس الأوثان والأصنام، فجاء النبي مثل المصباح المنير في الظلمة الحالكة السواد، كما تضمن الشرح لأخلاقه وصفاته صلى الله عليه وسلم وتكريمه له بالنبوة، فالفكرة العامة التي حملتها المدونة هو حالة العرب قبل الإسلام ، وكيف كانوا يعبدون الأصنام، وكيف جاء النبي وأخرجهم من هذه الظلمات كالمصباح المنير في الظلام، وتبين المدونة في أبياتها مكانة هذا النبي الأمين عند الله، وأهم صفاته وأخلاقه.

إن اختيار هذه القصيدة في كتاب الصف الرابع ليس اختيارا عشوائيا، بل هو اختيار مقصود ومدروس لما يمثله النص من سلطة معرفية(الدين)، وتقدم للطفل بأسلوب بسيط يحمل وظيفة فكرية، وتؤسس له هوية جماعية عبر الوظيفة التفاعلية وعبر تناوب المتكلم والمخاطب، والوظيفة النصية التي رتبت فيها أبيات القصيدة بصورة متماسكة ومفهومة ومباشرة ، وهو ما تحاول الدراسة الكشف عنه من خلال البحث في تطبيقات الوظائف اللغوية الأساسية عند هاليداي في هذه المدونة، والمتمثلة في الوظائف الآتية:

1- الوظيفة الفكرية:

حملت هذه الأبيات بعض المعلومات كان الهدف منها تعليميا وتربويا،بصورة غير معقدة، ولا تحمل أفكارا فلسفية تصعب على الطفل المتلقي من خلال توظيف عدد من الأفعال الحسية التي يمكن للطفل في هذه المرحلة إدراكها مثل : (أتانا- نعبد- أمسى- يلوح- ضم – قال- أشهد- شق-يجله- أنذرنا-علمنا- عمرت)،فهذه الأفعال هي أفعال حسية حركية يمكن للطفل إدراكها وفهم معانيها، وجاءت هذه الأفعال في جمل بسيطة سهلة للطفل مثل:(نبي أتانا- في الأرض تعبد- ضم الإله- قال في الخمس المؤذن أشهد- شق له من اسمه- علمنا الإسلام....إلخ)، فمن خلال استخدام ألفاظ لغة مباشرة صورت القصيدة الواقع التاريخي قبل الإسلام ، وحالة الشرك وعبادة الأوثان، وانقطاع الرسل، ففي قول حسان بن تابت في القصيدة:

نبي أتانا بعد يأس وفترة ..... من الرسل، والأوثان في الأرض تعبد

كانت الفكرة هي التصوير التاريخي لواقع انقطاع الوحي،وبينت في قوله:(والأوثان في الأرض تعبد)، فكرة عبادة الأوثان التي كانت سائدة قبل الإسلام، دلالة على الانحراف العقائدى والشرك بالله، ثم تتحول هذه الفكرة وتنتقل عبر عملية مادية أيضا: (فأمسى سراجا منيرا) ، بينت هذه العملية التحول من الظلام إلى النور ، وهو ما أعقب نزول الوحي على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

وفي قول حسان:

وضم اسم الإله إلى اسمه .... إذا قال في الخمس المؤذن أشهد.

نلحظ وظيفة لغوية أو دلالة فكرية أخرى، وهي دلالة التوحيد واقترانها بالشهادتين ، وهي عملية مادية أيضا.

كما نلحظ بيان رسالة نبينا محمد من خلال ثنائية الترهيب والترغيب في قول حسان: (وأندرنا نارا وبشر جنة)، فقد بينت هذه الثنائية حقيقة فكرية أخرى، وهي وظيفة الرسالة التي بعث بها نبينا محمد من خلال ثنائية الترهيب والترغيب.

وفي قوله: (فعلمنا الإسلام، فالله نحمد)، وظيفة فكرية أخرى، وهي عملية تعليمية وعقلية توضح الانتقال من الكفر إلى الإيمان، ومن الظلمات إلى النور، ومن الجهل إلى اليقين.

ومن خلال متابعة وتحليل أبيات هذه القصيدة، وما تنضمنته من وظائف فكرية ،نلحظ أن هذه الوظيفة في أبيات القصيدة قامت على مجموعة من الآليات الفكرية أسهمت في تقديم المعلومة للطفل بسهولة ويسر، وتناسب قدراته العقلية والفكرية، ويمكن أن نوجزها في النقاط الآتية:

1- استخدام الأفعال المادية و الحركية مثل: (أتانا- تعبد- أمسى- يلوح- ضم- قال- شق- أنذرنا- علمنا)، حيث نلحظ غلبة الأفعال الحركية والمادية في القصيدة، لبيان أن الرسالة المحمدية حدث حركي غير الواقع الجاهلي التي بدأت بالفعل الحركي(أتانا)، وتلتها أفعال العبادة والتعليم، مثل:(أندرنا- بشّر-علمنا- نحمد).

2- الأحداث: لقد توالت الأحداث في أبيات القصيدة لتحقق وظيفة فكرية عقب سرد هذه الأحداث بنسق سببي عبرت عنه حركية الأفعال في القصيدة لتقدم تصورا فكريا في الانتقال من الظلام إلى النور، ومن حالة الشرك إلى حالة الهداية، متمثلة في قوله: (نبي أتانا بعد يأس وفترة)، وهو حدث يكشف حالة الظلام قبل الإسلام،ثم انتقل عبر حركية الأفعال: (أمسى سراجا، يلوح)، إلى حالة النور بعد الظلمة والهداية بعد الضلال .

3- الاستمرارية وعدم الانقطاع:

نلحظ في القصيدة أفعالا تدل على الاستمرارية في الحدث، لتؤكد أن هذه الهداية مستمرة ، وهو ما تظهر صورته جلية في استخدامه: (أندرنا نارا- بشر جنة- علمنا الإسلام- فالله نحمد- ما عمرت في الناس أشهد)، فكل هذه المتواليات اللغوية من خلال حركية الأفعال تدل على الاستمرارية، وأن حدث الرسالة المحمدية ترك أثرا مستمرا.

ثانيا- الوظيفة التفاعلية:

لقد تم توظيف مجموعة من الأدوات التفاعلية لتنقل القصيدة من مجرد نص إخباري، إلى خطاب تفاعلي بين المرسل والمتلقي،ويمكن أن نوجز في عرض لأهم هذه الأدوات التي تم توظيفها في القصيدة وعلاقاتها التفاعلية في الآتي:

1- استخدام ضمير الجمع: لقد تم توظيف ضمير الجمع، (نا)، في : (أتانا-أنذرنا- علمنا)، حيث استخدم الشاعر ضمير الجمع بصيغة، (نا) الدالة على الجماعة لبناء علاقة تفاعلية مع المتلقي، ويفيد بأن الشاعر لاينقل تجربة ذاتية ، بل ينقل تجربة جماعية مما يخلق انتماء جماعيا للرسالة المحمدية، والدين الإسلامي الحنيف.

2- الالتفات إلى ضمير الغائب(هو) في قوله: (فأمسى- يلوح- قال- شق له- .....إلخ)، حيث انتقل حسان بن ثابت من ضمير المتكلم الذاتي إلى ضمير الغائب الموضوعي، لتعظيم الرسول عليه الصلاة والسلام وتصوير مشهد النبوة ،(فأمسى سراجا مستنيرا وهاديا)، فالالتفات من المتكلم إلى الغائب رسم مشهدية تكاد تدرك بحاسة البصر،حيث تحول الخطاب من حالة الشعور الداخلي(أتانا)، إلى تصوير مشهد خارجي، وهو أسلوب حجاجي إقناعي في الوظيفة التفاعلية .

3- الالتفات إلى ضمير المخاطب(أنت):

في قوله: (وأنت إله الخلق ربي وخالقي)، مناجاة بين العبد وخالقه، وتكشف العلاقة التفاعلية بين العبد وخالقه.

4- آلية التفاعل والاقناع والحجاج باستشهاد الغير:

5- ورد في القصيدة : (إذا قال في الخمس المؤذن أشهد)، فالشاعر لم يقف عند حدود شهادته ، فقد استشهد بشهادة كل مؤذن وهو ينادي لكل صلاة من الصلوات الخمس، لتصبح العلاقة تفاعلية توثق مكانة النبي صلى الله عليه وسلم من خلال سماع جميع المسلمين لشهادة المؤذن وهو ينادي لكل صلاة.

ونستنتج مما أوردناه من نماذج تطبيقية من مدونة الدراسة ، بأنه تمت آليات تفاعلية قد تم توظيفها وحولت النص من نص شعري مغلق يسرد حدثا قد وقع، إلى نص شعري مفتوح يؤسس موقفا، ويوجه سلوكا، وتبين من خلال تحلينا للمدونة أيضا، أن النص الشعري لم يكن نصا وصفيا وإخباريا يروي أحداث ووقائع فحسب، بل تعدى ذلك لبناء علاقات تفاعلية مع المتلقي ، وبهذا تتحقق وجهة نظر هاليداي حين رأى أن اللغة ليست وصفا للواقع، بل هي تفاعل اجتماعي يصنع علاقات.

ثالثا: الوظيفة النصية:

عندما نتحدث عن النصية فالحديث يختص بالشكل أو الوعاء الذي يحمل الوظيفتين السابقتين، وينتقل بهما من المعنى المجرد إلى نص يتسم بالاتساق والانسجام، ولا يتحقق هذا الاتساق وهذا الانسجام في أي نص أدبي ما لم يكن قائما على مبدأين هما: (براعة الاستهلال أو حسن الابتداء، وحسن الربط)، ويتحقق الأول في اختيار الموضوع الذي يحمل رسالة للمتلقي، ويتحقق المبدأ الثاني في تحقق التماسك النصي من خلال توظيف مجموعة من الآليات اللغوية كالإحالة، والحذف،والربط، والتكرار، والتوازي وغيرها من أدوات التماسك النصي[1]، ومن خلال دراسة وتحليل أبيات القصيدة

[1] - خليل بن ياسر البطشاني، الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب، دار جرير للنشر والتوزيع،عمان، الأردن، ط1، 2013، ص: 63

مدونة البحث نوجز تطبيقات هذه الآليات في المدونة وكيف أسهمت في تحقيق الوظيفة النصية في القصيدة وعرضها وفق الآتي:

1- الإحالة عن طريق الضمير:

في البيت الأول يقول حسان بن ثابت: (نبي أتانا)،ومن خلال تتابع الكلمات والجمل في السلسلة الكلامية في قوله: (فأمسى سراجا أي فأمسى هو سراجا، يلوح هو أيضا)،فالضمير: (هو) ، أو الإحالة بالضمير شكلت شبكة نصية مترابطة ومنسجمة أيضا، لتحقق الإحالة الضميرية هنا الربط الأفقي بين بيت وآخر بالإضافة إلى الربط العمودي، فجعلت الوحدات الصغرى نحو:(سراجا، مستنيرا،هاديا، يلوح،.....إلخ)،فكل هذه الوحدات الصغرى ارتبطت عن طريق الإحالة بالوحدة الكبرى وهي النبوة والتوحيد التي استهلت بها أبيات القصيدة: (نبي أتانا بعد يأس وفترة....من الرسل والأوثان في الأرض تعبد)، ليتحقق عن طريق الإحالة الضميرية ربط القضايا الفرعية بالقضية الأساسية.

2- الربط النصي بالعطف:

تسهم التوابع بشكل عام في تحقيق الانسجام النصي داخل الابنية الكبرى،ويمثل التابع امتدادا نصيا للمتبوع ويرتبط به، وهو ما يظهر جليا في مدونة البحث من خلال الوصل بالعطف بالواو الذي جعل القصيدة تتسم بالترابط النصي بما جعل بعض التوابع مع متبوعها كالكلمة الواحدة في مثل قول حسان: (بعد يأس وفترة، من الرسل والأوثان في الأرض تعبد، مستنيرا وهاديا، فذو العرش محمود وهذا محمد، وأنذرنا نارا وبشر جنة وعلمنا الإسلام، وأنت إله الخلق ربي وخالقي)، لقد خلق التتابع العطفي ترابطا وسبكا نصيا جعل النص يتسم بسمة الاختزال في الخطابين وجعل منه كتلة خطابية واحدة.

3- التكرار:

يأتي التكرار لما أطال الفصل من الكلام، وكان أوله إلى تمام لا يفهم إلا به، فالأولى في باب الفصاحة أن يعاد لفظ الأول ثانية، ليكون مقارنا لتمام الفصل كي لا يجيء الكلام منثورا[1]، ويؤدي التكرار جملة من الوظائف دلالية ونصية، فامتداد عنصر ما وتكراره يؤدي إلى تحقيق التماسك النصي، وهذا ما نجده في مدونة البحث التي كان فيها التكرار آلية نصية لبناء النص يؤدي وظيفة نصية، مثل تكراركلمة (اسم)، في قول حسان بن تابت: (وضم الإله اسم النبي لاسمه، وشق له من اسمه)، فتكرار كلمة اسم لم تكن حشوا زائدا، وإنما كان لغرض أداء وظيفة نصية هي الربط الإحالي، فاسم الأولى تشير إلى الله سبحانه وتعالى، واسم الثانية تشير إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

ومن مظاهر أو تمثلات التكرار في المدونة، تكرار الضمير في مثل قوله أيضا: (وشق له من اسمه ليجله)، نلاحظ تكرار الضمير (هاء الغائب)،في: له- اسمه- ليجله، حيث لعب تكرار الضمير وظيفة نصية تمثلت في الإبقاء على النبي بؤرة الدلالة ومركزها لكل الأبيات في القصيدة.

ومن مظاهر التكرار أيضا الجذر اللغوي (ح، م، د)، حيث تكررت في القصيدة كلمات من الجذر اللغوي ذاته مثل: (محمود- محمد- نحمد)، ليتحقق من هذا التكرار الوظيفة الاشتقاقية حيث يبرهن على الفكرة أو المعنى ذاته، وهذه الوظيفة حققت ربطا دلاليا تجعل الحمد لله وتجسد في نبيه محمد، وبتوحيد المسلمين لله يعود الحمد لله كله، بالإضافة إلى الوظيفة الإيقاعية من خلال التماثل الصوتي جعل حفظ وفهم البيت أكثر سهولة ويسر.

ومن خلال عرض وتحليل هذه النماذج من التكرار في المدونة نلحظ أن التكرار لعب دورا بارزا في وحدة النص وتماسكه، وأدى وظائف نصية منها: وظيفة التماسك النصي والسبك، ووظيفة الإقناع والحجاج، ووظيفة إيقاعية موسيقية، و وظيفة دلالية .

4- التوازي التركيبي:

من مظاهر التوازن التركيبي في مدونة الدراسة ما نجده في قول حسان: (فذو العرش محمود وهذا محمد) ،فهذا التوازن حقق أكثر من وظيفة نصية منها:وظيفة السبك، وظيفة حجاجية إقناعية فمحمد محمود تؤكد قوله: وشق له من اسمه ليجله.

[1] - جميل عبدالمجيد، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ص: 92.

ومن مظاهر التوازي التركيبي ما نجده أيضا في قوله: (وأندرنا نارا- وبشر جنة- وعلمنا الإسلام)، ففي هذا البيت تحققت ثلاث جمل فعلية متوازية تتكون من فعل متعد ، وفاعل، ومفعول به، عبرت في تسلسل قريب إلى فهم المتلقي كيف عمل النبي بأن أندرنا من النار،وبشرنا بالجنة، ثم بين لنا كيف الطريق إلى الجنة، ليجتمع التحذير والتبشير والتعليم في بيت شعري واحد، بالإضافة إلى التتابع الإيقاعي في أندر، وبشر، وعلّم.

نخلص من خلال عرض بعض النماذج للتوازن التركيبي في المدونة، أن هذا التوازن كان آلية نصية وظائف نصية تتمثل في وظيفة الربط والسبك، ووظيفة حجاجية إقناعية، و وظيفة إقناعية.

المدونة التانية: (في المراعي).

أقبل الصبح جميلا .... يملأ الأفق بهاء
فتمطى الزهر والطير .... وأمواج المياه
قد أفاق العالم الحي .... وغنى للحياة
فأفيقي يا خرافي .... وأهرعي لي يا شياه
واتبيعيني يا شياهي .... بين أسراب الطيور
وأملئي الوادي ثغاء .... ومراحا وحبور
واسمعي همس السواقي .... وانشقي عطر الزهور
وانظري الوادي .... يغشيهالضباب المستنير
لك في الغابات مرعاك .... ومسعاك الجميل
ولي الإنشاد والعزف .... إلى وقت الأصيل.

هذه القصيدة للشاعر أبي القاسم الشابي(1909-1934)، والملقب بشاعر الخضراء،وهو شاعر تونسي ومن كبار شعراء جيله، من دواوينه الشعرية أغاني الحياة، حيث نظم قصائده في أغراض متعددة منها وصف الطبيعة، وقصيدته في المراعي واحدة من القصائد التي نظمها في وصف الطبيعة،وبنيت هذه القصيدة على حوارية بين الشاعر وقطيعه، وهيمنة ألفاظ الطبيعة على لغة القصيدة،وتناوبت فيها قافية حرف الهاء والراء،كما تناوبت فيها الحواس من البصر إلى السمع إلى الشم،وطغت فيها الأفعال الحركية لترسم مشهدية رائعة بألفاظ سهلة، ونحاول في هذه الدراسة أن نكشف عن أهم الوظائف التواصلية التي اعتمد عليها الشاعر في قصيدته ، ولضيق المجال عن التوسع سنحاول عرضها بإيجاز غير مخل وفق الآتي:

الوظيفة الفكرية :

في هذه الأبيات حاول الشاعر أن يمثل عبر كلماته مشهدية تنطق بالحياة وتعبر عن العالم الخارجي من خلال الوصف الذي جاء في بنية حوارية بين الراعي ومخاطبه القطيع، واعتمد في حواريته على مجموعة من الآليات تكاملت فيها الرؤية التمثيلية والرؤية التصورية على النحو الآتي:

1- الوظيفة التمثيلية (المرجعية) :

اعتمد الشاعر في هذه القصيدة على اللغة للتعبير عن الواقع الخارجي ووصفه، معتمدا على الوصف الحسي والفعل المادي، فقد نقل الشابي المشهد الرعوي بوصف حسي مادي مثل استخدامه: (أقبل الصبح جميلا.. يملأ الأفق بهاء- فتمطى الزهر والطيروأمواج المياه ....)، لقد وظف الشابي ألفاظ الطبيعة كالصبح، والزهر، والأفق، والطير، والمياه،ليرسم مشهدية حية تنطق بالحياة وتعبر عن الواقع، كما وظف الأفعال الحركية في قوله: (أفيقي يا خرافي- اهرعي يا شياه- اتبعيني يا شياهي...)، ليمنح هذا الوصف حركية معبرة عن حياة الراعي اليومية في مشهدية تنطق بالحياة أيضا.

كما استطاع الشابي توظيف المكان عبر استخدامه لألفاظ تعبر عن المكان مثل قوله: (أملئي الوادي- اسمعي همس السواقي-انشقي عطر الزهور- لك في الغابات مرعاك)، فالوادي والسواقي والغابات هي أسماء أماكن ارتبطت بعلاقة إسنادية مع أفعال حركية وحسية مادية : (املئي- اسمعي- انشقي...) لتضفي على القصيدة مشهدية حية ترسم حياة الراعي بألفاظ كأنها ريشة فنان في لوحة جدارية معبرة.

1- الوظيفة التصويرية (تشخيص الطبيعة):

التصوير والتشخيص في حقيقته أداة فنية تتجلى فيها الاستعارة في أبعادها الوظيفية والفنية، وتتشكل خلالها رؤى ودلالات وأبعاد لها وظيفة نفسية ومعنوية من خلال أنسنة أو تشخيص الجمادات والمعنويات ومنحها صفة إنسانية، وإضفاء طابع المشهدية وجعل ما هو غير مشاهد مشاهدا،و لتتميزبإعطاء كثير من المعنى بقليل من اللفظ، ومن نماذج هذا التصوير أو التجسيد في القصيدة قول الشابي: (فتمطى الزهر والطير) ، حيث أنسن الشابي الزهر ليقدم تصورا ذهنيا جعل فيه الطبيعة كأنها إنسان، ومن نماذجه في القصيدة أيضا قوله: (قد أفاق العالم الحي وغنى للحياة)، فالعالم لا يغني، غير أن الشابي رسم تصورا فلسفيا رسم فيه العالم كأنه إنسان يغني.

ومن خلال نظرة فاحصة لأبيات القصيدة نخلص بالقول بأن الوظيفة التمثيلية تمثل المرجع الحسي والوظيفة التصورية تمثل الواقع الذهني، وتكامل الوظيفتين جعل من القصيدة مشهدية حية تدرك بالحواس.

2- الوظيفة النصية:

تعد الوظيفة النصية إحدى الوظائف اللسانية التى تقوم على التتابع اللغوي، و التناسق والترابط النصي التي تجعل النص متماسكا ، وتتحقق هذه الوظيفة عبر تكامل نظامين لغويين هما: التماسك النحوي، والتماسك المعجمي والدلالي، ومدونة (في المراعي) نموذج دال على هذا التماسك في شقيه النحوي والمعجمي، حيث بنى الشابي عالمه الرعوي على شبكة نصية من الإحالات والروابط والآليات، وهو ما تسعى هذه الدراسة إلى الكشف عن تجلياتها الوظيفية والنصية في هذه المدونة، وتحليل آلية اشتغالها النصي، وأهم هذه الآليات ما يأتي:

1- الإحالة بالضمير: فقد تناوبت مجموعة من ضمائر المخاطب التي تحيل لمرجعية خطابية واحدة تتمثل في القطيع، وهو ما نجده في استخدامه :(فأفيقي- خرافي- أهرعي- اتبعيني- شياهي- املئي- اسمعي- انشقي- انظري- مرعاك- مبتغاك)، فالضمير ياء المخاطبة وكاف الخطاب يحيلان لمرجع واحد وهو القطيع، وهو ما جعل النص متماسكا في بنيته من أول بيت في القصيدة إلى آخر بيت، وجعل القصيدة تتسم بوحدة الموضوع من جهة، ومترابطة نصيا في وحدة نصية كبرى ووحدات نصية صغرى جميعها مترابطة نصيا وتعبر عن موضوع واحد ارتبطت به جميع الجزئيات أو الوحدات اللغوية الصغرى في القصيدة.
2- آلية التكرار: وهو من الآليات النصية المعجمية التي اعتمد عليها الشابي في قصيدته، ومن مظاهرها في القصيدة : (يا شياه، ياشياهي- أفاق، أفيقي- الصبح الأصيل)، حيث كرر الشاعر كلمة شياه مرتين، وكرر كلمة أفيقي وأفاق من جذر لغوي واحد، وكرر كلمة الصبح والأصيل،للتوكيد والتماسك النصي.
3- العطف: وهو الأكثر ظهورا في القصيدة، حيث اعتمده الشابي آلية للربط النصي، ومن مظاهره في القصيدة: (الزهر والطير وأمواج البحر- واهرعي- واتبعيني- واملئي- ومراحا وحبور- واسمعي- وانشقي- وانظري- ومسعاك الجميل- ولي الإنشاد والعزف....)
لقد استطاع الشابي بواسطة العطف أن يحقق الانسجام النصي بين الأبنية في القصيدة، ويجمع بين عناصر الطبيعة في مشهدية مترابطة ومتناغمة.
4- آلية الربط السببية: لقد اعتمد الشابي أيضا على آلية الربط السببية، ومن مظاهرها في القصيدة الربط السببي بالفاء في قوله: (فتمطى الزهر- فأفيقي).
لقد وظف الشاعر الفاء لترتيب المشاهد التي يصورها في قصيدته في تناغم وترتيب منظم ربط بين أكثر من مشهد.
5- آلية التوازن التركيبي: مثلما وظف الشابي العطف لتحقيق الترابط والاتساق النصي بين الكلمات ، نجده يوظف آلية التوازن التركيبي التي أعطت القصيدة تنظيما موسيقيا يجذب القارئ إليها، ويسهل عليه حفظها، ويحول هذه القصيدة إلى قطعة موسيقية متناغمة ومتآلفة، ومن مظاهر هذا التوازن في القصيدة: (فأفيقي يا خرافي وأهرعي- واسمعي همس السواقي وانشقي عطر الزهور- وانظري الوادي..).

لقد حقق هذا التوازن إيقاعا موسيقيا متناغما ورسم مشهدية تصور الراعي مع أغنامه، وتنتقل بين الصورة من مشهد لمشهد، وتتناوب فيها الحواس من حاسة إلى حاسة أخرى، في صورة تكاد تكون مسموعة، ومرئية، ومشمومة في وقت واحد، وهو ما أكسبها سلاسة نصية وتماسك نصي.

ونخلص بالقول أن الوظيفة النصية في هذه القصيدة التي وظفها الشابي عبر مجموعة من الآليات النصية، جعل المشاهد الطبيعية التي وصفها والأفكار التي عبر عنها متماسكة نصيا ودلاليا، ومنسجمة تركيبيا وإيقاعيا.

الوظيفة التفاعلية:

تقوم الوظيفة التفاعلية على وصف النص بأنه تفاعلا بين المرسل والمتلقي، وهو ما يظهر بوضوح في أبيات القصيدة، ويمكن أن نرصد مظاهره في القصيدة عبر توظيف الشاعر لمجموعة من الآليات التفاعلية منها:

1- آلية النداء:حيث اعتمد الشاعر في مواضع من قصيدته على علاقة تفاعلية مباشرة عبر النداء المتكرر في قوله: (يا خرافي- يا شياه- يا شياهي)، وهو تفاعل توحدت فيه روح الشاعر وانصهرت مع الطبيعة، في علاقة إيجابية حولت غير العاقل إلى عاقل في أثناء الخطاب.
2- حركية الأفعال الآمرة: طغت على القصيدة صيغ فعل الأمر في قول الشابي: (افيقي- اهرعي-اتبعيي- املئي- اسمعي- انشقي- انظري-)،وهذه الأفعال في حقيقتها السياقية تفيد الالتماس ولا تحمل أمرا يحمل صفة الاستعلاء أو التعالي، يطمح المخاطب مشاركة المتلقي الإيجابية والوجدانية من خلال علاقة تفاعلية وجدانية وحسية، كما تناوبت في القصيدة مجموعة من الأفعال الحسية كما ورد في قول الشابي: (واسمعي همس السواقي- وانشقي عطر الزهور- وانظري الوادي)، لقد تناوبت حاسة السمع مع حاسة الشم مع حاسة البصرفي مشهدية تفاعلت فيه الحواس، كشفت نظرة الشاعر نحو الحياة ويحاول دفع المتلقي إلى التفاعل والاندماج معه في رؤيته .

ومنه نخلص بالقول: أن الوظيفة التفاعلية قد تحققت من خلال علاقة تفاعلية بين المرسل (الراعي)، والمتلقي (الشياه)، أي بين عاقل وغير عاقل تمت أنسنته من خلال آليات تواصلية منها :النداء، والأمر وتناوب الأفعال الحسية، لغرض خلق خطاب تواصلي حي تحولت فيه الشياه (المتلقي) ، إلى إنسان يسمع ويشم ويبصر.

ونخلص في ختام دراستنا لقصيدة(في المراعي)، لأبي القاسم الشابي،أن هذه القصيدة قد تكاملت فيها ثلاث وظائف لسانية هي:(الوظيفة الفكرية، والوظيفة النصية، والوظيفة التفاعلية)، حيث مثلث الوظيفة الفكرية وجسدت الواقع الرعوي بعناصره الحسية: (الصبح- الوادي-الشياه- الطيور)، ثم جاوزته عبر التجسيد والتصويرفي: (فتمطى الزهر- قد أفاق العالم....)، كما ضمنت الوظيفة النصية تماسك النص عبر شبكة لغوية محكمة بالإحالة والربط بالعطف وبالضمير، والتكرار المعجمي، واكتسب النص أيضا وظيفة تفاعلية برزت تمثلاتها النصية في: (أفيقي- اهرعي- اتبعيني- أملئي- انظري)، لتكشف الحقيقة التفاعلية لفعل الأمر الذي لم يكن مجرد صيغة للطلب والأمر فحسب.

الخاتمة :

في منتهى هذه الدراسة التي اعتمدت الوظائف التواصلية عند هاليداي والبحث في تطبيقاتها في الأدب الموجه للطفل الليبي معتمدة على مدونة نصين من مقرر اللغة العربية للصف الرابع من التعليم الأساسي المعتمد من وزارة التربية والتعليم بليبيا وهما: (السراج المنير- في المراعي)، وقد خلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج والتوصيات نوجزها في النقاط الآتية:

أولا: النتائج .

- خلص الجانب النظري الذي تناول مفهوم الوظائف التواصلية عند هاليداي، أن وظائف اللغة ليست معزولة عن بعضها، بل هي ثلاث وظائف أساسية: (فكرية وتفاعلية ونصية)، يمكن من خلالها قياس أدبية النص ووظيفته من خلال البحث في التمثيل الفكري وفاعلية العلاقة بين المرسل والمتلقي، والآليات النصية التي شكلت البنية النصية ونسجت تماسكها.
- أدب الطفل هو نوع أدبي له خصائصه ومضامينه وأهدافه التربوية، ويعدّ خطابا تواصليا، وأداة معرفية قابلة للقياس والدراسة والتحليل علميا.

- تبين من خلال الدراسة والتحليل للمدونة الأولى:(السراج المنير)، غلبة الوظيفة الفكرية، فكان النص مبني على فكرة أساسية تمثل الوحدة الكلية الكبرى للنص وهي ترسيخ فكرة دينية ، حيث عبرت القصيدة عن بعثة الرسول الكريم ورسالته التى جاءت خاتمة للرسائل والديانات بعد مدة من انقطاع الرسل.
- تبين من خلال الدراسة والتحليل أيضا للمدونة الثانية:(في المراعي)، غلبة الوظيفة التفاعلية وسيطرة الأفعال الحركية والحسية في القصيدة ، الأمر الذي خلق تفاعل بين المرسل والمتلقي، وهيأ لحالة الاندماج الوجداني للقارئ.
- أثبتت الدراسة التطبيقية أن النصوص الموجهة للطفل في الصف الرابع الإبتدائي أنها نصوص وظيفية تحقق نقل المعرفة عبر الوظيفة الفكرية، وتعمل على تهذيب وتنمية وتربية الطفل وغرس القيم الدينية والأخلاقية من خلال الوظيفة التفاعلية، وتعمل أيضا على تنمية الذوق وتحقيق الكفاية اللغوية وتطويرها من خلال الوظيفة النصية، وهو ما يؤكد أهمية نظرية هاليداي ونجاعتها في تقييم الأدب الموجه للطفل.

ثانيا: التوصيات.

- إجراء دراسات بحثية وتطبيقية موسعة لهذه المقاربة الوظيفة، لتشمل باقي النصوص في الكتاب المدرسي، وإعادة تقييم الكتاب المدرسي بمعايير لسانية موضوعية وعلمية، وعدم الاكتفاء بالآراء الانطباعية.
- على وزارة التربية والتعليم، ولجنة المناهج التعليمية، الحفاظ على التوازن الوظيفي عند اختيار النصوص الأدبية في الكتاب المدرسي، وتحقيق التكامل الوظيفي الذي أثبتته هذه الدراسة.
- تأهيل المعلمين والمعلمات على تحليل النصوص وظيفيا، وعدم الاقتصار على التلقين وشرح بعض المفردات والحفظ، كما هو معتاد في العملية التعليمية والتربوية.

تلك أهم النتائج والتوصيات التي حرصت على الإشارة إليها في ختام البحث، وأرجو أن تكون ذات فائدة علمية.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع:

أولا: المصادر.

- القران الكريم برواية قالون عن نافع
- اللغة العربية للصف الرابع من مرحلة التعليم الأساسي، إعداد لجنة متخصصة بتكليف من مركز المناهج التعليمية، 2022-2023، مركز المناهج التعليمية والبحوث التربوية.

ثانيا : المراجع.

- أبوالقاسم محمود بن عمر الزمخشري،أساس البلاغة، تحقيق: مزيد نعيم وشوقي المجري، دون تاريخ.
- أحمد مختار عمر، علم الدلالة،عالم الكتب، القاهرة،ط1998،5م.
- إبراهيم عبدالتواب حمزة،اللسانيات الوظيفية النظامية،الوافد الغربي والنحو العربي .
- ابن منظور أبو الفضل جمال الدين بن مكرم، لسان العرب، (مادة خطب)، دار صادر، بيروت، ط1،
- إدريس قصوري،أسلوبية الرواية، مقاربة أسلوبية لرواية زقاق المذاق لنجيب محفوظ، عالم الكتب الحديث،إربد، الأردن،2008.
- الزمخشري، أساس البلاغة، تحقيق مزيد نعيم،وشوقيالمجري، (مادة خطب)،مكتة ناشرون، ط1998،2، ص:253.
- جميل عبدالمجيد، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة .
- خليل بن ياسر البطشاني،الترابط النصي في ضوء التحليل اللساني للخطاب،دار جابر ،ط1، 2013م،ص:34.
- رابح بوحوش، اللسانيات وتحليل النصوص، عالم الكتب، عمان ، الأردن،ط2007،1.
- رشدي طعيمة، أدب الأطفال في المرحلة الإبتدائية، ط2،القاهرة،دار الفكر،2000.
- ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة ، ترجمة كمال بشر،مكتبة الشباب،مصر.
- عبدالواسع الحميري، ما الخطاب وكيف نحلله،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت ، لبنان،ط1.

- فرحات العربي،الأسلوبية في النقد الأدبي الحديث،بيروت ، المؤسسة الجامعية،2003،ص:23.
- كريم حسام الدين زكي، أصول تراثية في اللسانيات الحديثة،ط3 ،2000.
- محمد خطابي،لسانيات النص مدخل لانسجام الخطاب،المركز الثقافي العربي،بيروت، ط1، ص:304.
- محمد العبد، المقاربة القرآنية، دراسة في بنية الدلالة، مكتبة الشباب،مصر،القاهرة، ط2، 2006م.
- محمود أحمد النحلة، علم اللغة النظامي/مدخل إلى النظرية النظامية عند هاليداي،مصر، 2001.
- موفق الدين بن يعيش، شرح المفصل،ج3، دون تاريخ.
- موفق رياض مقدادي، البنى الحكائية في أدب الأطفال، المجلس الوطني للثقافة والفنون والإعلام، الكويت، 2012.
- ميخائيل نعيمة ، الغربال، دار المعارف ، القاهرة، 1951م.